بين المناظرين

الحركة الاحمدية

بقلم سيد احمد فهمى

نشرت « المعرفة » الغراء ـ بعدد نوفمبر الماضى ـ مقالا بهذا العنوان لأحد القاديانيين حاول فيه أن يدافع عن مذهبه، ويعزوه إلى الديانة الاسلامية ، مدعياً أنه مستمد منها ، ومستخلص من روحها ومبادئها .

ولو كان الأمر كذلك ، أى لو كان هذا المذهب الجديد منطبقاً على مبادىء الدين الحنيف وموافقاً لروحه وتعاليمه ، فعلام كان النزاع ؟ .. ولماذا يلقاه المسلمون أينما ظهر بينهم بأشد مظاهر السخط والنفور ويحاربونه بكل مافيهم من قوة ؟ .

حقيقة الأمر أن هذا المذهب ، بل هذا الدين الجديد ، بعيد عن الاسلام بعد السماء عن الأرض ، ولا يمت إليه بأدنى صلة ، ونظرة واحدة إلى هذا الدين المستحدث وإلى المبادىء والتعاليم التى يقوم عليها كافية لاظهار مافيه من المناقاة لقواعد الاسلام ، والمناقضة لأصوله وعقائده المجمع عليها فى كل عصوره وبين مختلف طبقاته .

يدعى مؤسس هذه الحركة ، بل مثير غبار هذه الفتنة ، غلام أحمد القادياني (١) أنه نبى مرسل إلى كافة البشر ، وأنه ينزل عليه وحى سماوى وتعليم قرآنى ، ولكى يدعم هذه الدعوى ويجعل لها شيئاً من القيمة ، صبغها بصبغة إسلامية ، وأدعى أنها شعبة من شعب الاسلام وأنها صفوة تعاليمه ، فهو مع كونه نبياً فان نبوته لم تخرج عن دائرة الشريعة الاسلامية ، بل هى مفسرة لها ومبينة لما فيها من الأسرار والحقائق التى تدور مع كل عصر ، وتوافق روح كل جيل من الناس ، ثم إن القرآن الذى ينزل عليه لا ينسخ تعاليم القرآن الكريم ، بل هو مؤيد له ومهيمن عليه وموضح لمعانيه التى ظلت غامضة ومقفلة من عهد ظهور الاسلام إلى أن انتهت إلى هذا الغلام أحمد الهندى القادياني ، فكان هو الذى وفق إلى حل رموزها وفك طلاسمها . ثم أورث ذلك أشياعه وخلفاءه من بعده حتى كان منهم ـ أيضاً ـ أنبياء ورسل .

---

(١) نسبة الى قاديان احدى بلاد الهند .

وكنا نود أن نأتى هنا على شىء من تاريخ هـذه الحركة وكيفية نشأتها والأغراض التى كونتها ولا زالت تتولى حمايتها ورعايتها ليكونوا على بينة من حقيقتها ، ولـكن ذلك لايعنينا الآن بقدر مايعنينا مناقشة الدعوة فى حد ذاتها ، والنظر فى الأدلة والمناهج التى تقوم عليها .

معلوم من الدين بالضرورة أن النبى محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وقد صرح الكتاب الكريم بذلك مما لا يدع ريبة لمرتاب ، ولا أى مجال للتأويل ، فقال تعالى « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولـكن رسول الله وخاتم النبيين » ، كما جاءت بذلك السنة المطهرة فى مواضع أكثر من أن تعد ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى ، وإنه لانبى بعدى » وقال « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه واجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » إلى غير ذلك مما لا داعى للاطالة فيه ، وما هو معلوم لـكل مسلم ؛ وكانت هذه هى العقيدة التى أجمع عليها الصحابة ، فالتابعون ، فجميع المسلمين طبقة بعد طبقة إلى يومنا هذا ، وقد أجمعوا كلهم على أن من شذ عن هذه العقيدة ، وادعى النبوة لنفسه أو اعتقدها فى غيره فهو كافر بلا مراء .

فاذا ماواجهت طائفة القاديانين بهذه النصوص الصريحة القاطعة ألفيت منهم مماحكة غريبة ، فتراهم يعمدون إلى تحريفها وتأويلها بعبارات لايقبلها العقل ولا يستسيغها المنطق والذوق ، يقولون : إن خاتم النبيين ـ فى الآية والأحاديث ـ ليس معناه آخر النبيين ، بل تاج النبيين وحليتهم ! ... كما لو قلت : زيد خاتم العلماء ، فان معنى ذلك أن زيداً أعلاهم مكانة وأنه لهم بمثابة التاج والحلية ! ... وعلى هذا فليس مايمنع من ظهور أنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم مادام مقـام الخاتمية محفوظـاً له ، لأن الذين يجيئون بعده يكونون مندرجين فى نبوته وداخلين تحت حيطتها ... ولا أدرى فى اى قاموس وجدوا هذه المعانى البديعة الرائعة ! ! ولا من أى مصدر جاءونا بتلك الطرف الجميلة والتعابير الرشيقـة التى ما كنا لنعرفها من قبل ؟ !

ومما يستندون عليه فى تأييد دعواهم النبوة قولهم : إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وعد بظهور المسيح فى آخر الزمان ليجدد للناس أمر دينهم ، فذلك مما يؤخذ منه أنه سيظهر أنبياء بعده ، وينبنى عليه أن نور النبوة مازال سارياً فى الناس إلى أن تقوم الساعة ... وما دام أن عيسى عليه السلام قد مات بنص القرآن ، فلا يكون عيسى الذى بشرت به الأحاديث

هو عيسى بن مريم الذى كان فى بنى إسرائيل ، بل هو كل رجل تترقى فيه البشرية إلى أن تتصل بأفق النبوة ، وبعبارة أجلى هو غلام أحمد ، وكل من سار على شريعته ! .

أولا ترى مقدار ما فى هذا القول من المناقضة الواضحة والمغالطة الصريحة التى يصادمون بها نصوص الكتاب والسنة القاطعة ؟ . . . إنهم يصدقون البشارات التى جاءت على لسان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويسلمون بظهور عيسى ، ولكنهم فى الوقت نفسه ينقضونها ، ولا يسلمون بأن المراد بها عيسى بن مريم ، بل المراد بها عيسويتهم هم ، ولهم فى ذلك تأويلات وتلبيسات نذكرها على سبيل الفكاهة ، كل مايصدر عنهم من الأعاجيب .

يقولون : صحيح أن الأحاديث صرحت باسم عيسى المسيح بن مريم ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون ماتنطوى عليه هذه الاشارات من المعانى الجليلة ، فالمراد بمريم هى النفس البشرية فى طورها العادى الجبلى ، وعيسى معناه روح النبوة ، أى أن الانسان يكون أولا فى الحالة المريمية ، ثم لايزال يتهذب ويترقى حتى تنبثق فيه الروح العيسوية التى هى كناية عن النبوة فيشرف على الملأ الأعلى ، وينزل عليه الوحى القرآنى لهداية الناس ـ الذين ما يزالون فى الطور المريمى ـ . وعلى هذا النحو ، بل على هذا الهذر يعتمدون فى ترويج دعوتهم ، ونشر تعاليمهم التى لا ندرى لها أولا من آخر ، والتى لا تعتمد على حجة معقولة ، ولا على كتاب ، ولا على منطق ، ولا على أى شىء إلا مجرد الدعوى ، وتعمد تحريف النصوص ومجابهة الحقائق الملموسة .

وإليك مثلا من مجادلاتهم ، وهو ماجاء على لسان حضرة « منير الحصنى أحمد » ناشر المقال الآنف الذكر ، لترى مبلغ مافى هذه الدعوة من صدق ، وانطباق على الشريعة الاسلامية التى يتحكمون بها .

فقد ذكر حضرته عن عيسى بن مريم أن الأحمديين يقولون : بموته حتف أنفه ، ولم يرفع بجسده العنصرى إلى السماء ، وهو لايريد طبعاً ـ بقوله حتف أنفه ـ إلا أنه قد قتل على الصليب ، وذلك لينفى من أذهان الناس ـ بتاتاً ـ أنه رفع عليه السلام حياً ، وأنه سينزل هو بعينه فى الزمان والمكان الذى عينته الأحاديث النبوية الشريفة ، مع أن القرآن صريح فى أنه لم يصلب ولم يقتل . قال تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ، وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه » .

لكنهم يتورطون فى أمثال هذه المآزق ليقولوا : إنه مادام عيسى قد قتل فلن يعود ، ومادام الأمر كذلك ، فالذى يعود هو الأرواح العيسوية فى الأشباح المريمية ؛ وما منهم فى ذلك إلا كمثل الذى يحرق بيته ليوقد مصباحه .

ومما قاله فى بقاء الوحى : « إن الذى لايتكلم لايكون إلهاً » ؛ واستند إلى قول الله تعالى

« واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ، ألم يروا أنه لايكلمهم ولا يهديهم سبيلا » ، وذلك ليستنتج أن الله يجب أن يكون متكلماً دائماً أبداً ، وما دام الأمر كذلك ، فليس ما يمنع من نزول الوحي على غلام أحمد وأمثاله ... فهل ذلك هو معنى الآية الشريفة ، أم أن معنى الآية هو أن الله سبحانه وتعالى ينعى على بنى إسرائيل اتخاذهم صنماً أصم أبكم صنعوه بأيديهم وعبدوه مع أنه لاينفعهم ولا يضرهم ولا يهديهم سبيلا ؟ وهل إذا كان الله تعالى لاينزل وحيه على غلام أحمد يكون مثله مثل هذه ؟ . . . . استغفر الله ، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

أما عقيدة المسلمين فى أمر الوحى ، فهى أنه انقطع منذ انتقل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الرفيق الأعلى ، لأن الدعوة الإلهية قد تمت ، والبلاغ السماوى بلغ كماله ، وتمت على الناس نعمة الاسلام ، ولم يبق سبيل بعد ذلك ، بل لا حاجة إلى نزول وحى جديد : هذا مايعتقده المسلمون مع إثباتهم صفة الكلام لله تعالى ، وأنها ذاتية له تليق بكماله ولا يتصور العقل انفكاكها عنه لحظة ، هذا مع مافهمه ، وما اعتقده جميع المسلمين من لدن أبى بكر وعمر إلى عصرنا هذا .

ومما جاء فى ذلك أنه عند موت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت أم أيمن بركة الحبشية تبكى بكاء مراً ، فدخل عليها أبو بكر وعمر وهى على هذه الحال فقالا لها : « يا أم أيمن مايبكيك ، فما عند الله خير لرسوله ؟ » ، فقالت : « إنى لأعلم أن ماعند الله خير لرسوله ، وإنما أبكى لانقطاع خبر السماء » ، فهيجتهما على البكاء فبكيا .

فأولئك هم : أبو بكر ، وعمر ، وأم أيمن ، وهم من أخص خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم المسلمون قاطبة يؤمنون بانقطاع الوحى ، ولم يدع أحد مطلقاً أنه أوحى إليه شىء ، فكيف يجرؤ مسلم فى قلبه ذرة من إيمان على أن يدعى بذلك ، وهم يسمعون وعيد الله تعالى فى قوله : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله ، وماهو من عند الله ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون » ، وكذلك الوعيد الذى جاء فى حق من قال أوحى إلى ، ولم يوح إليه شىء ، والذى قال : سأنزل مثل ما أنزل الله ، إلى غير ذلك مما كثر وروده فى القرآن .

ولكن ما الحيلة مع أولئك القوم الذى لايقفون عند نص ، ولا يعبأون بوعيد ، ولا يقيمون للحق وزناً ؟ . .

ولولا خشية الاطالة ، وضننا بصحف « المعرفة » الثمينة من أن تضيع فى أمثال هذه المناقشات العقيمة لجئنا على سائر أدلة هؤلاء القوم ـ وما هى بأدلة إنما هم يسمونها كذلك ـ

معقبين عليها بما يدفعها ، ولكننا معتقدون ان الحركة الأحمدية اهون واضعف من أن نأبه بها إلى هذا الحد ، فهى ـ ولله الحمد ـ تمشى وفى طيها موتها ، ولا تجد من يستمع إليها أو يلقى إليها بالا .

وإذا كان حضرة منير الحصنى أحمد وأعوانه يظنون أنهم يجدون لدعوتهم هذه فى مصر مناخاً طيباً ،وجواً صالحاً ،فانهم يكونون قد خدعوا أنفسهم وأساءوا الاختيار ، لأن مصر هى عرين الاسلام ، وملجؤه الأخير ، والمصريون أيقاظ ، لاتخفى عليهم خافية من أمثال هذه الدعاوى التى هى على اللسان دون أن تتطرق إلى الوجدان ،وحركة منبعثة عن مآرب وأغراض لا عن يقين وإيمان . أما إذا كانوا يريدون لها نجاحا ورواجاً ، فعليهم أن يبحثوا لها عن مواطن أخرى غير مصر ، كجاهل التبت أو أواسط إفريقيا أو جنوب أمريكا ، لأن الجو الاسلامى لايقبلها ، ولكنه يقتلها ويلاشيها ورحم الله أمرءاً عرف قدره والسلام ؟

سيد أحمد فهمى

ضحايا الحب

[بقية المنشور على الصفحة رقم ١٠٠٣]

الجمع صاح قائلا : تعال يا حضرة العمدة بالعجل ، لحسن مبروكة بنت ابويا عبدالله ولعت فى نفسها النار واحترقت . ساد الهرج والمرج واشتد الصخب وتعالى النحيب من كل جانب ، ولكن شيئاً واحداً تنبه الجميع إليه رغم الاضطراب السائد ؛ وما هذا إلا ضحكة صدرت يخالها السامع صوت نذير من بركان سيقذف حممه .

فقهقه غنيم ضاحكا وفغر الجميع أفواههم لخروجة الموقف ، وما كادوا يتبينون الأمر حتى علموا أن هذه الضحكة كانت إنذاراً بذهاب عقل غنيم ؛ فما خرجت من جوفه حتى كان عقله يودعه إلى الأبد .

وكان الناظر إلى القطار المسافر عقب الحادثة بأربع وعشرين ساعة يرى جنديين يمسكان بشخص يهذى ويقول :

(هوه الجهاز بتاع مبروكه جاى فى القطر ده ؟ قرب يا ابراهيم ياخويا علشان تساعدنى فى جيل العزال بتاع مبروكه مرات أخوك .

وعند ما آذن القطار بالقيام كان الرائى ـ يرى خلاف الجندين الممسكين بالمجنون ـ رجلا فى يده قيد حديدى واضعاً رأسه بين ركبتيه مجهشاً بالبكاء وهو ذاهب إلى المحاكمة، لأنه قتل إبراهيم أخا عم غنيم خولى الزراعة . ؟

السيد حسن طه